

منارة العبد

<"xml encoding="UTF-8?>



وهي من المآذن الجميلة المميزة التي كانت تزيّن الحائر الحسيني الشريف ، كان موقعها في الزاوية الشمالية الشرقية من الصحن الحسيني الشريف على يمين الداخل من باب الشهداء ، ولجدار الصحن أقرب من جدار الرواق (1). وكانت مئذنة جبارة أعظم وأفخم من كل المآذن الموجودة في العتبات المقدسة من كربلاء والنجف والكاظمية وسامراء ، ومن حيث الفخامة في الأبنية التاريخية كانت هي الثانية في العراق من بعد (ملوية) المتوكل وجامعه في سامراء . فكان يبلغ قطر قاعدتها عشرين مترا تقريبا ، وارتفاعها أربعين مترا ، مكسوة بالفسيفساء والكافاشاني الاثاري البديع الصنع (2).

يعود تاريخ منارة العبد الى سنة 767 هـ عندما بناها الخواجة مرجان (مشيد جامع مرجان والمدرسة المرجانية في وسط شارع الرشيد في بغداد)، والذي كان واليا على بغداد من قبل السلطان الثاني من سلاطين الدولة الجلائرية اليلخانية ، اويس الجلائري الذي كانت عاصمة ملكه تبريز ، فتمرد عليه مرجان ورفع راية العصيان ضده واستبد بيغداد ، حتى اضطر السلطان اويس أن يسير إليه بجيشه من تبريز ليقضي على حركته ، ولما علم أنصاره بقدوم السلطان اويس لمحاربته تفرقوا عنه ، ودخل اويس إلى بغداد دخولا هائلا وكان يوما مشهودا (3) ، وفَرَّ مرجان من بغداد ولاذ بقبر أبي عبد الله الحسين (عليه السلام) ، وكان حين استجار بالضريح المقدس ، قد نذر أن يبني مئذنة خاصة في الصحن الحسيني الشريف إذا خرج ناجيا من الغمة(4) . فعل ذلك وبنى حولها مسجدا خاصا ، ثم أجرى لهما من أملاكه في كربلاء وبغداد وعين التمر والرحالية أوقفا يصرف واردها على المسجد والمئذنة ، وعندما علم اويس بما جرى للعبد أحضره فأكرمه وعفا عنه ، وأعاده والياً على العراق لما قام به من خدمات جليلة في الحائر الشريف (5) واستمر حاكماً ببغداد إلى أن ادركه الموت سنة 793هـ/1374م .

لقد كانت مئذنة العبد بنقوشها البديعة تُشكّل آيةً في الفن المعماريّ ، ومعلماً اثرياً رائعاً حتى ان الكثير من المستشرقين والرحالة الذين زاروا كربلاء قد ذكروا هذه المئذنة عند وصفهم المشهد الحسيني الشريف ومنهم خان اديب الملك (المراجي) حين زار كربلاء عام (1273هـ = 1857م) ، وحين زار الرسام الانكليزي روبرت كلايف كربلاء عام (1862م) ورسم الروضة الحسينية المقدسة كان من اوضح المعالم الجمالية في لوحته منارة العبد وهي مزينة بالقاشاني ذات النقوش البارزة وهي دائيرية الشكل ذات قاعدة سداسية الاصلاع (6) ، وفي عام 1890م زار كربلاء رئيس بعثة بنسليفانيا للتنقيب عن الاثار القديمة في نفر (منطقة عفج) جون بيترز ووصف منارة العبد بأنها مزينة بالكافاشي البديع.

بقيت مئذنة العبد حوالي ستة قرون قائمة من يوم تشييدها سنة 767 هـ مزданة بتشكيلاتها الزخرفية الرائعة ومكسوة بالقاشاني الملون والمزخرف ، وبسبب تقادم الزمن جرى على المئذنة عدة اصلاحات ابرزها على يد الشاه طهماسب الصفوي في سنة 982 هـ من ضمن ما قام به من الإصلاحات والتعمير للحائر المقدس في تلك السنة وتوسيع الصحن من الجهة الشمالية منه وكذلك الاصلاحات التي جرت عليها بعد تضرر الجزء العلوي من المئذنة بأحداث واقعة المناخور (المعروفة بواقعة غدير دم) ، جراء اطلاق جنود الحاكم العثماني نجيب باشا الرصاص واصابتهم على المئذنة ، فقد وصفها عالم الاثار الانكليزي لوفتس عندما زار كربلاء عام 1270 هـ = 1854 م بأن احدى المنارات الثلاث تبدو متداعية (7) وتوشك على السقوط على اثر احتلال جنود نجيب باشا للمدينة ، وكانت قد تعرضت المساجد الى الخراب والتدمير بصورة خطيرة ، فظلت آثار القنابل والشظايا واضحة للعيان في قبابها . وفي عام 1308 هـ أوعز البلاط العثماني بتصليح المئذنة المذكورة فأصلحت (8) ، وبقيت هذه المئذنة عبر كل تلك السنين والاعوام وهي شامخة مثلما وصفها المستشرق الهولندي هونيكمان عندما زار كربلاء عام 1935 م . وفي اواخر عام 1354 هـ = 1936 م قام متصرف لواء كربلاء صالح جبر بأمر من رئيس الوزراء ياسين الهاشمي بهدم مئذنة العبد الاثيرية عن جهل وعدم تقدير قيمتها التاريخية بحجة ميلانها وتصدعها ، وتعزو المصادر سبب الهدم الى قرار سياسي اتخذه رئيس الوزراء استناداً للتقارير التي استلمتها مديرية الاوقاف العامة ، ويقال ايضاً الى انه عمد الى ذلك بغرض الاستيلاء على عائدات الاوقاف الكثيرة التي تركها مرجان للمئذنة وللمدينة سوية (9) ، ومن الجدير بالذكر انه حينما اقدموا على هدم منارة العبد عثروا على نقود نحاسية قديمة ترجع الى العهد الجلائي والصفوي وقد اودعت في دار الاثار القديمة ببغداد (10).

وبالرغم من ذلك فقد انتصر العبد خسر فن الريازة والعمaran الاسلامي اثراً تاريخياً رائعاً ، واليكم حسرات الدكتور عبد الجود الكليدار آل طعمة اثر هدم هذا المعلم التاريخي وهذا بعض كلامه " تركت مأذنة العبد فراغاً هائلاً في الحائر المقدس وحسرة دائمة في قلوب محبي الفن والتاريخ كما وكان هدمها نظير ما جرى للحائر في الادوار الماضية على يد الغلة والوهابيين فبكتها القلوب ورثتها الشعراً " (11) .

هذا وقد استنكر اهالي المدينة المقدسة وفي مقدمتهم العلماء الاعلام منهم السيد هادي الخراساني(12) ، وأرخ هدمها الخطيب الشاعر الشيخ عبد الكريم النايف، وممن نظم في ذلك العلامة الجليل محمد السماوي في ارجوزته " مجالي اللطف بأرض الطف " ومن ذلك ما جاء عن ادوار تشييدها في عام 767 هـ وتعميرها في عام 982 هـ، وهدمها في عام 1354 هـ ورثتها السيد علي الهاشمي الغريفي بقوله:

الجلائر عبدهم	مرجان مُذْ ولَيِّ الإمارة
قد شاد في بغداد مسد	جده لدى سوق التجارة
وبني لدى صحن الحسين	بن لحبه أعلى منارة
تالله ان يهدمها	للدين للتنقوى خساره
والعبد أرخ : ناحبا	الحر تكفيه الإشاره

(1) السيد سلمان هادي آل طعمة، تراث كربلاء ص55.

(2) د. عبد الجود الكليدار ، تاريخ كربلاء وحائر الحسين (ع) ص 233

- (3) ابن كثير، البداية والنهاية ج 14 ص 364
- (4) الاستاذ جعفر الخليلي ، موسوعة العتبات المقدسة، قسم كربلاء ص 266
- (5) د. عبد الجواد الكليدار ، تاريخ كربلاء وحائر الحسين (ع) ص 233
- (6) د. الشيخ محمد صادق الكرباسي ، دائرة المعارف الحسينية، تاريخ المراقد ج 3 ص 62
- (7) السيد محمد حسن الكليدار، مدينة الحسين ج 4 ص 335
- (8) السيد سلمان هادي آل طعمة، تراث كربلاء ص 56.
- (9) د. الشيخ محمد صادق الكرباسي، دائرة المعارف الحسينية، تاريخ المراقد ج 2 ص 304
- (10) السيد محمد حسن الكليدار، مدينة الحسين ج 1 ص 36.
- (11) د. عبد الجواد الكليدار، تاريخ كربلاء وحائر الحسين (ع) ص 241
- (12) للتفصيل راجع : د. الشيخ محمد صادق الكرباسي، دائرة المعارف الحسينية ، تاريخ المراقد ج 2، ج 3.